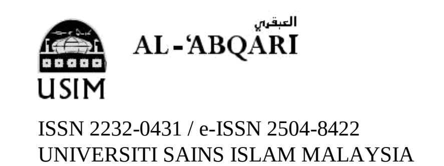


ISSN 2232-0431 / e-ISSN 2504-8422
UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA

VOL. 11 (OCT) 2017: pp 181-210
Journal of Islamic Social Sciences and Humanities
مجلة الثقافة الإسلامية والإنسانية

Submission date: 02/06/2017 Accepted date: 28/08/2017

النزاع السياسي بين الفرق الشيعية

The Political Conflict between the Shi'ite Sects

Kamaluddin Nurdin Marjuni,[1] Fithriah Wardi[2]
Universiti Sains Islam Malaysia

kamaluddin@usim.edu.my
fitriwardi@usim.edu.my

الملخص

تعد الإمامة أو الخلافة من أهم الأسباب التي أدت إلى اختلاف المسلمين، وتفرقهم إلى جماعات، فمنذ الخلافة الراشدة – وحتى الآن – والصراع بين المذاهب الإسلامية قائم حول من له الأحقية في تولى الإمامة أو الخلافة أو الرئاسة، فالشيعة تقول: إن إمامة المسلمين حق منصوص للإمام عليّ من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. ويرون أن الإمامة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة؛ إنما هي ركن من أركان الدين. ودور هذا البحث هو الكشف عن النزاع السياسي بين الفرق الشيعية، والذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع المقارن بين الفرق الشيعية في قضية السياسية. وهذا البحث يعتمد على المقارنة حيث يبرز أوجه الشبه والاختلاف فيما بين النظريات السياسية للفرق الشيعية، ويتم التحليل من خلال ذلك على مجموعة من الكتب الشيعية من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية المتعلقة. ويتبين من البحث أن الشيعة على مر تاريخ الإسلام نجدهم على مختلف فرقها في موقف المعارضة دائما.

مفتاح الكلمات: النزاع، السياسة، الفرق الشيعية.

---

[1] Associate Professor at Akidah and Religion Studies Programme, Universiti Sains Islam Malaysia.
[2] Senior Lecturer at Fiqh and Fatwa Programme, Universiti Sains Islam Malaysia.

Abstract

The Imamate or Caliphate is one of the most important reasons that led to the difference of Muslims, and their division into groups, since the Caliphate until now. The conflict between Islamic doctrines is based on who has the right to assume the Imamate or Caliphate or presidency. The Shi‘ites argue that the imamate of Muslims is a right reserved for *Imām* Ali after the death of the Prophet (PBUH). They see that the imamate is not a matter of interest that is entrusted to the choice of the public; it is one of the pillars of religion. The role of this research is to discover the political conflict between the Shi‘‘ite sects, which prompted me to choose this comparative subject between the Shiite factions in the political issue. This research is based on Comparative Study, highlighting the similarities and differences between the political theories of the Shi‘ite sects. The analysis is based on a collection of Shi‘ite books in order to reach the scientific truth. It is clear from the research that the Shi‘ites throughout the history of *Islām* are found in different divisions, always in the position of the opposition.

Key words: conflict, politics, Shi‘ite factions.

النزاع السياسي بين الفرق الشيعية

إن الإمامة هي النقطة الأساسية التي انقسم فيها المسلمون إلى سنة وشيعة، غير أن الإمامة عند الزيدية إجمالا لم تكن مثل الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية الذين رفعوا الإمامة إلى مرتبة النبوة أو مرتبة تقاربها، ذلك لقياسهم الأئمة على الأنبياء، إلا أن الأئمة في رأيهم لا ينزل عليهم الوحي. بل اعتبر الزيدية أن الإمام بشر كسائر الناس، لذلك ينتقد الزيدية آراء الشيعة الإمامية والشيعة الإسماعيلية تجاه تلك المساواة بين الأئمة والأنبياء، حيث يردهم بأنه لا يجوز قياس الإمامة على النبوة، لأن الله تعالى قد اختص أنبياءه بالمعجزة، فأكرمهم بها دون سواهم من الخلق.

وقبل الحديث عن النزاعات السياسية بين الفرق الشيعية المختلفة، فمن المستحسن التعريف بالشيعة والإشارة إلى فرقها.

التعريف بالشيعة وفرقها

معنى الشيعة لغة:

الشيعة في الغة: "هم القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة. والشيعة هم أتباع الرجل وأنصاره، ويقال: شايعه كما يقال والاه من الولي، وأصل الشيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، ومعنى

واحد، وأصل ذلك من المشايعة، وهي المتابعة والمطاوعة (Ibnu Mandur, 1998: 2377). وفي نفس التعريف يقول الزبيدي: "كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل من عاون إنسانا، وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة" (Al-Zabidi, 1996:4/405).

وبهذا أطلقت كلمة الشيعة مرادا بها الأتباع والأنصار والأعوان، إذن فيكون معنى التشيع هو اجتماع على أمر مع اتباع وولاء ومناصرة.

معنى الشيعة اصطلاحا:

يكاد يتفق العلماء في تعريف الشيعة اصطلاحا بأنهم: "أتباع الإمام علي وبنيه". قال الشهرستاني: "الشيعة هم الذين شايعوا عليه عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصاية، إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقيه من عنده" (Al-Shahratani, 2008: 1/146).

والجدير بالذكر هنا تعريف دقيق للشعية يذكره ابن حزم، حيث قال: "ومن وافق الشيعة في أن عليا–رضي الله عنه– أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا"(Ibnu Hazam, 1992: 2/107).

فهذا التعريف واضح وواسع يشمل جميع الشيعة معتدلين وغلاة، حيث أدخل فيها من رأى بمجرد أفضلية الإمام علي ولم يتعد إلى غيره من أقوال الشيعة وآرائهم كالرجعة والبداء. وكذلك أدخل فيها من وافقهم على الأفضلية ثم زاد عليها برفعه إلى درجة النبوة بل إلى درجة الألوهية –هم الغلاة–. وهو ما لم يقبله الشيعة المعتدلون وبخاصة الشيعة الزيدية كما يتضح في فيما بعد إن شاء الله.

فرق الشيعة

كتب مؤرخو المقالات والفرق عن انقسام الشيعة إلى فرق وطوائف ومذاهب، واللافت للنظر هو كثرة هذه الفرق، وتعددها بدرجة كبيرة حتى تكاد تنفرد الشيعة بهذه السمة، فعلى مدار التاريخ انبثق من الشيعة أفكار وطوائف ومذاهب وفرق منها من خرج على

ما يؤمن به جمهور الشيعة وهم من يوصفون بالغلاة ومنهم من ظل تحت اسم التشيع العام. ومنها أيضا طوائف لم تلبث في تاريخ الدهر طويلا انقرضت وهي ما يعبر عنها بالطوائف المنقرضة، ونذكر بعضا منها: السبئية، الكيسانية، المختارية، المحمدية، السميطية، الفطحية، الواقفية. وهذه هي الفرق والمذاهب الأوائل للشيعة، وقد انقرضوا بمرور الزمن وعبر التاريخ. وأما اليوم فتنقسم الشيعة إلى ثلاثة أجنحة وتيارات كبيرة رئيسية وهي: الشيعةالزيدية، والشيعة الإثنى عشرية، والشيعة الإسماعيلية. (Nurdin Kamaluddin, 2011).

فرقة الشيعة الزيدية

عرَّف الإمام يحيى بن حمزة الزيدية بقوله: "إن لكل فريق إماما يعزون إليه، ويستندون في مذاهبهم إليه ، ومن قبل زيد بن علي ماكان هناك زيدية ، فما نشأ هذا اللقب، ولا عرف إلا من بعده عليه السلام " (Yahya, 2001: 168). فواضح من هذا النص أن الزيدية منسوبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وهي إحدى أكبر فرق الشيعة التي مازالت باقية حتى اليوم، إذ تضم الشيعة ثلاث فرق رئيسية، وينص على ذلك الإمام أحمد بن يحيى المرتضى بقوله: "والشيعة ثلاث فرق: زيدية، وإمامية، وباطنية" (Yahya al-Murtaza, 2001: 1/34).

وأشارت المصادر التاريخية وكتب الفرق إلى أن الزيدية ظهرت مع قيام الإمام زيد بن علي على ثورته ضد الأمويين، وبايعه على الإمامة خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة الذين سبق لهم أن خذلوا جدّه الحسين بن علي، وتخلوا عنه في معركة كربلاء التي استشهد فيها في سنة 61هـ، إلا أن زيدا أصرّ على استمرار القتال حتى نهاية المطاف ، وخرج بجيشه من الكوفيين إلى والي العراق يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك بن مروان –تولى الخلافة من 105 إلى 125هـ–، والتقي الجمعان. فقال أهل الكوفة للإمام زيد: "إننا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدّك علي بن أبي طالب"، فقال زيد: "إني لا أقول فيهما إلا خيرا، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا، وإنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدّي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة –حيث وقعت معركة على باب طيبة في المدينة، واستحل فيها جيش يزيد بن معاوية المتوفى سنة 63هـ المحرمات–، وقتل فيها كثير من الصحابة،

ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار"، ففارقه الكوفيون عند ذلك فقال لهم: "رفضتموني رفضتموني"، ومن يومئذ سموا رافضة" (Ibnu Emad: 2008: 1/158).

فمن هنا، جاء استخدام لفظ (الرافضة) لأول مرة للدلالة على قوم رفضوا ثورة الإمام زيد ودعوته للخروج على والي العراق في عصره وهو يوسف بن عمر الثقفي. ويؤكد ذلك نشوان الحميري بقوله: "وسميت الرافضة من الشيعة رافضة، لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وتركهم الخروج معه، حين سألوه البراءة من أبي بكر وعمر، فلم يجبهم إلى ذلك" (Al-Humyari, 1998: 184).

ولعل هذا الذي جعل الجاحظ من المعتزلة يقسم الشيعة إلى فرقتين، إذ يقول: "اعلم رحمك الله أن الشيعة رجلان: زيدي ورافضي، وبقيتهم بدد لا نظام لهم" Al-Jahidz, (2000: 207).

ويبدو أنه كان يقصد بالرافضة هنا فرقتين من الشيعة: الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية.

فعلى هذا الأساس، أخطأ من ذهب إلى إطلاق لفظ (الرافضة) على جميع فرق الشيعة من غير استثناء ، فقالوا بأن كل من عرف بتشيعه فهو رافضي ، كما ذهب إليه عبد القاهر البغدادي ، حيث يقول: "وأما الروافض، فإن السبئية منهم أظهروا بدعتهم في زمان عليّ رضي الله عنه، فقال بعضهم لعليّ: أنت الأمة فأحرق عليّ قوما منهم ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن، وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام لتسميتهم عليّا إلها، ثم افترقت الرافضة بعد زمان عليّ رضي الله عنه أربعة أصناف: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة"(Al-Baghadi, 1977: 15). وتابعه في ذلك أبو المظفر الإسفرايني، حيث قال: "إن الروافض يجمعهم ثلاث فرق: الزيدية، والإمامية، والكيسانية" (Asfarayani, 1999: 24).

وقد أشار إلى هذا الخطأ الإمام أحمد بن موسى الطبري، فقال: "وأما قول الحشوية للشيعة: إنهم روافض، فهم غير مصيبين في هذا القول، إنما الروافض هم الإمامية، رفضوا زيد بن علي عليه السلام بعد البيعة له ... والإمامية فِرَقٌ كثيرةٌ، منهم: القرامطة" ...

ويقول في موضع آخر: "الإمامية بين الموسوي والإسماعيلي" (Al-Tabari, 1421: 32/277-278).

وقد أكد الإمام صالح المقبلي على أن الزيدية ليست من الرافضة ولا من غلاة الشيعة، فقال: " إن الزيدية ليسوا من الرافضة، بل ولا من غلاة الشيعة في عرف المتأخرين، ولا في عرف السلف، فإنهم الآن مستقر مذهبهم الترضي على عثمان، وطلحة، والزبير وعائشة رضي الله عنها فضلا عن الشيخين" (Al-Muqbali, 1996:399).

واختلف مؤرخو الملل والنحل في عدد فرق الزيدية، غير أن البارزين منها ثلاث فرق فقط، وهم: (1) الجارودية، (2) والبترية أو الصالحية، (3) والسليمانية أو الجريرية.

وقد تجدر الإشارة هنا إلى تميز المذهب الزيدي باعتداله، وانفتاحه على المذاهب الأخرى، حيث جعلوا الاجتهاد ضرورة دائمة، لأن المقلد كما يقول الإمام الشوكاني في كتابه القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد: "لا يسأل عن كتاب الله، ولا عن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بل يسأل عن مذهب إمامه فقط، فإذا جاوز ذلك إلى السؤال من الكتاب والسنة فليس بمقلد"(Syaukani 1997: 30).

وبناء على ضرورة الاجتهاد، فحرّموا التقليد على من بلغ رتبة الاجتهاد، وأوجبوا عليه أن يجتهد رأى نفسه. وفي ذلك يرى الشيخ أبو زهرة أن الزيديين فتحوا باب الاختيار من المذاهب الإسلامية، فيختارون ما يقتنعون بدليله، ما دام يتفق دليله مع المنهاج الزيدي المرسوم، فهم في هذا ينفذون قول الأئمة: "لا يصح لأحد أن يأخذ برأينا، إلا إذا عرف من أين أخذناه"(Abu Zuhrah) 1990: 484-485).

وهو ما أدى إلى إثراء المذهب الزيدي بالفكر، وبالإضافة إلى ذلك، فإن الزيدية في كثير من المواقف دائما تقف موقف المعارضة العلنية من السلطة.

فرقة الشيعة الإمامية الإثني عشرية

عرّف صاحب كتاب الشيعة والإمامة بأن الإمامية هم: "الذين قالوا بإمامة الإثني عشر من أبي الحسن إلى ابن الحسن" (Al-Muzaffar, 2003: 7).

وهذا النص يوضح لنا أن الإمامية تتميز لقولها بإمامة الأئمة الاثنى عشر. ويعرفهم الشهرستاني قائلا: "الإمامية هم القائلون بإمامة عليّ بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا وتعيينا صادقا، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين" (Al-Shahrastani) 2008: 1/89).

وقد افترقت الإمامية إلى فرقتين كبيرتين هما: الإثنى عشرية، والإسماعيلية الباطنية، وهذا الافتراق بعد وفاة الإمام جعفر الصادق، حيث اختلف الناس فيمن تولى الإمامة بعد وفاته:

فقالت طائفة: إن موسى الكاظم هو الذي نص عليه الصادق وإليه تنتقل الإمامة حتى ولو كان أصغر من أخيه إسماعيل، وذلك لسببين:

- أولا: أن إسماعيل قد مات في حياة أبيه.
- ثانيا: أن أباه قد رفع عنه الوصاية قبل موته بدعوى شربة الخمر الأمر الذي يؤدي إلى نفي تقواه، وعدم أحقيته في الإمامة ، ومن ثم فموسى الكاظم (ت 183هـ) هو الإمام السابع بعد أبيه في نظر أصحاب هذه الطائفة التي أطلق عليها فيما بعد بـ (الإثنى عشرية) لأنها تسلسل الإمامة بعد الكاظم إلى ابنه علي بن موسى (الرضا) (ت 203هـ) ، ثم إلى ابنه محمد بن علي (الجواد) (ت220هـ)، ثم إلى ابنه علي بن محمد (الهادي) (ت 254هـ)، ثم إلى ابنه الحسن بن علي (العسكر) (ت260هـ)، ثم إلى ابنه محمد بن الحسن (المهدي) (ت 328هـ).

وبذلك يكون مقدار هذه السلسلة اثنا عشر إماما ، لا يزيد ولا ينقص. ومن هنا ، تميزت الإمامية الإثنى عشرية بأنها وضعت لنفسها في بادىء الأمر

عددا ثابتا من الأئمة . فتوقفوا عند إمامهم الثاني عشر الغائب وهو محمد بن الحسن العسكري. (Nurdin, Kamaluddin, 2011).

وهم الذين يسمون بالجعفرية، لاعتماد آرائهم الفقهية على أقوال الإمام جعفر الصادق، كما يسمون أيضا بـ (الرافضة)، لرفضهم ثورة الإمام زيد ودعوته للخروج على والي العراق في عصره وهو يوسف بن عمر الثقفي كما عليه ابن تيمية. أو لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر كما عليه الأشعري، وقد فضل صاحب كتاب (بحار الأنوار) تسمية فرقته بالرافضة، ووأورد في كتابه أربعة أحاديث في مدح التسمية بالرافضة. وعلى أية حال، إذا أطلق لفظ (الشيعة) فلا ينصرف في الذهن إلا إلي هذه الطائفة الإمامية الإثنى عشرية. (Nurdin, Kamaluddin, 2011).

وقالت طائفة: إن إسماعيل هو الذي تنتقل إليه الإمامة بعد أبيه، لأنه هو الإبن الأكبر، وهذه الطائفة يطلق عليها فيما بعد بـ (الإسماعيلية الباطنية).

إذن، فكان لموت الإمام جعفر الصادق أثره البالغ في انقسام الشيعة إلى فرقتين رئيستين: الإمامية الإثنى عشرية من جهة –وهم أتباع موسى الكاظم– والإسماعيلية الباطنية –وهم أتباع إسماعيل– من جهة أخرى، ولكل فرقة منها تدّعي أن لإمامها الزعامة دون الأخرى.

فرق الإمامية الإثنى عشرية

وقد انبثق من الإمامية الإثنى عشرية فِرَقٌ ومذاهبٌ كثيرة، منها: أصولية، وأخبارية، وشيخية، وكشفية، وكنية، وركريمخانية، وقزلباشية، وكلها داخلة في المجموعة الإثني عشرية وأصولها مبثوثة في كتب الإثنى عشرية، وهناك الغلو المنشق عن الشيعة الاثنى عشرية ويتمثل في: النصيرية، والبابية، البهائية. والإثنا عشرية اليوم منقسمون إلى ثلاث مدارس فكرية رئيسية وهي:

– الأول: الأخبارية.

هم الذين يمنعون الاجتهاد، ويعملون بالأخبار ويرون أن ما في كتب الأخبار الأربعة المعروفة للشيعة (الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه) قطعي السند أو موثوق بصدوره، فلا يحتاج إلى البحث عن سنده ، ولا يرون تقسيم الأخبار إلى أقسام الحديث المعروفة من الصحيح والحسن والموثق والضعيف وغيرها، بل كلها صحيحة، ويوجبون الاحتياط عند الشك في التحريم ولو مع عدم سبق العلم الإجمالي، ويسقطون من الأدلة الأربعة المذكورة في أصول الفقه: دليل العقل، والإجماع، ويقتصرون على الكتاب والخبر، ولذلك عرفوا بالإخبارية نسبة إلى الأخبار ولا يرون حاجة إلى تعلم أصول الفقه ولا يرون صحته. ومن علماء الإخباريين: ابن بابويه صاحب كتاب "من لا يحضره الفقيه"، الحر العاملي صاحب كتاب "وسائل الشيعة"، والكاشاني صاحب كتاب "الوافي"، والنوري الطبرسي صاحب كتاب "مستدرك الوسائل". ويمكن تسميتها بـ "مدرسة الحديث". وسميت كذلك بـ "الحركة السلفية". (Nurdin, Kamaluddin, 2011).

وكانت بداية ظهور الأخبارية في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة على يد الشيخ محمد أمين الأسترابادي صاحب كتاب (الفوائد المدنية) إلا أنها تجددت بشدة في أواخر القرن الثاني عشر.

– الثاني: الأصولية.

هم القائلون بالاجتهاد من الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ويمكن أن نسمي هذه المدرسة بـ "مدرسة الرأي أو مدرسة التأويل". ومن علماء هذه المدرسة: الطوسي صاحب كتاب "الاستبصار والتهذيب"، والمرتضى المنسوب له (أو لأخيه) نهج البلاغة، والشيخ المقيد صاحب كتاب "أوائل المقالات" وغيرهم ، ومعقل هذه المدرسة (النجف). (Bahrul Ulum, 1978).

– الثالث: الشيخية.

هم طائفة من الشيعة الإمامية الاثني عشرية أسسها أحمد بن زين الدين الأحسائي في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وأتباعها يتواجدون اليوم في العراق، والكويت، والاحساء، والبصرة، وكرمان، وتبريز في ايران. وينقسمون إلى فرقتين: "الركنية" و "الكشفية"، ولكلّ فرقة آراؤها الخاصّة.

فرقة الشيعة الإسماعلية الباطنية

الباطن لغةً: ضد الظاهر أو أن الظاهر خلاف الباطن، والباطن اسم من أسماء الله تعالى، ومعناه: العالم بالسرائر والخفيات، والمحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم، والباطنية فرقة من الشيعة تعتقد أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، وتمعن في التأويل . (Al-Razi, 1995: 23).

وفي الاصطلاح يعرّف لنا الإمام أحمد بن سليمان الباطنية بقوله: "وانتسب الباطنية إلى الإسماعيلية، وهم فرقة أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام، وقالوا: لكل ظاهر باطن" (Ahmad: 2003: 500).

يقول الإمام الزيدي القاسم بن محمد: "وأما الباطنية: فإنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، ولا يتقلدون بشيء من الشرائع " (Al-Qasim, 2003: 1/72). ويقول ابن الجوزي: "الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة، لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر ... ثم يذكر أنها من الشيعة الإسماعيلية المنسوبة إلى زعيم لهم يقال له محمد بن إسماعيل بن جعفر" Ibnu Jauzi, 1985: 123-125).

ويتبين من هذا التعريف أن الباطنية لقب خاص استخدم للدلالة على إحدى فرق الشيعة المنسوبة إلى (الإسماعيلية)، و تقول بالظاهر والباطن، وبوجوب تأويل الشريعة، لأن المراد منها الباطن دون الظاهر. فرفضوا الأخذ بظاهر القرآن.

وقد لاحظ أستاذي الدكتور محمد الجليند أن الإمام ابن تيمية لا يستخدم لقب "باطنية" عادة بمعنى محدّد لطائفة معيّنة، بل أطلقها لتشمل فرقا ومذاهب منها: الصوفية، والإسماعيلية، والفلاسفة، والجهمية. وغيرهم الذين يقولون بالظاهر والباطن، ذلك لأن المعيار الأساسي عند إطلاق لقب الباطنية لدى ابن تيمية هو القول بالتفسير الباطني

للقرآن (Al-Jalayand, 1995: 239). وفي هذا استقرّ عند الدكتور عبد الرحمن بدوي في تعريفه للباطنية بأنها: "لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، والصفة المشتركة بينها تأويل النّص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلا يذهب مذاهب شتى ، وقد يصل التباين بينها حدّ التّناقض الخالص، فهو يعني أن النصوص الدينية المقدّسة رموز و إشارات إلى حقائق خفيّة وأسرار مكتوبة" (Badawi, 1996: 2/751).

وعلى هذا الأساس، فكان استعمال لفظ (الباطنية) توسيعا لتشمل جميع الفِرَقِ والمذاهب الذين يدّعون بأن للقرآن ظاهرا وباطنا ، سواء كانوا من الفلاسفة أم الشيعة أم التصوف وغيرهم. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة تأثير الباطنية على الفرق الإسلامية، وأما عند تقييدها وتخصيصها لفرقة معينة فتعني بها الشيعة الإسماعيلية التي ردّت عليها معظم الفرق الإسلامية كالأشعرية، والمعتزلة، و الشيعة الزيدية، والمذهب الأخير هو موضوع بحثنا.

وقد أخطأ بعض الباحثين في عزو الزيدية إلى أنها من الفرق الباطنية، كما نشهد بذلك في كتاب الحكومة الباطنية للشرقاوي حيث يقول: "ومن الفرق الباطنية الزيدية التي تميزت بالمذهب العقلي". فهذه النسبة غير صحيحة، لأنه من المعروف أن المذهب الباطني مذهب تعليمي، يعتمد على ما قاله الإمام، بينما الزيدية مذهب عقلي، إذن فهما متناقضان بعضهم بعضا، ولعل المؤلف لهذا الكتاب يقصد هنا بالجارودية من الزيدية، لأنهم الذين تطرفوا وغلوا في أمر الأئمة، ولكن بعد البحث أيضا لم نجد في آراء الجارودية أية إشارة تدل على قولهم بالظاهر والباطن. (Al-Syarqawi, 1992: 194).

ألقاب الشيعة الإسماعيلية الباطنية

اهتم المذهب الإسماعيلي الباطني فوق كل شيء بامتلاك عدد كبير من المتحزّبين في جميع الأمكنة، وبين جميع الطبقات الاجتماعية، ولذلك كان عليه أن يلائم نفسه مع طباع وأمزجة وميول أعداد ضخمة، ولذلك لم يكن مدهشا أن الإسماعيليين أو الباطنيين كانوا منقسمين إلى فرق عديدة ذات عقائد اختلفت بدرجات متباينة عن تلك التي للإسلام. وبناء على ذلك، فتعرض المذهب الإسماعيلي لعوامل التطور والتغير، كما هو الحال في كل مذهب، فهناك مثلا فارق بين الإسماعيلية الأوّل، وبين الدروز الذين أَلَّهوا الحاكم بأمر الله، وقد حاول بعض الإسماعيلية إبطال هذه الدعوى، كذلك اختلفت فرق

الإسماعيلية باختلاف الأقاليم ، فقد كان كل داع يتصرف بحسب الظروف الخاصة بكل إقليم. (Al-Abd, Latif, 1976: 21). ففي زمن واحد نستطيع أن نتبين عقائد مختلفة متضاربة تنسب كلها إلى الإسماعيلية، وهذا الاختلاف نتيجة لما كان يذيعه الدعاة المختلفون في البلدان المختلفة ، فمهما أخذ هؤلاء الدعاة عن مصدر واحد ، فلا شك أنهم مختلفون فيما بينهم اختلافا كبيرا بحسب شخصية كل واحد، وحسب مقدار فهمه للعقائد أو تأويله الباطني للأمور الدينية كانوا مختلفين في ثقافتهم، ومختلفين في عقلياتهم، ويضاف إلى ذلك اختلاف المجتمعات التي يعيشون فيها، فمنهم من كانوا يدّعون بين الدهماء السذج، ومنهم من كانوا يدعون بين جمهور مثقف متحضر، فكان لا بد أن نجد اختلافا بين هؤلاء الدعاة فيما كانوا يذيعونه على الناس. (Muhamad Kamil, 1959: 148-149).

وانطلاقا من هذا التطور والتغير، فنجد الباطنية تسمت بألقاب متعددة حسب اختلاف البلاد التي ينتشر فيها دعاتهم ، واختلاف الأزمنة والأمكنة، فيشمل فرقا كثيرة في عددها، ولكنها واحدة في اتجاهها، وهو الكيد للإسلام بالحيلة. وقد ذكر الإمام الغزالي في أن الباطنية تلقّبوا بعشرة ألقاب، منها: الباطنية، والقرامطة، والقرمطية، والخُرَّمية، والخُرَّمْدينية، والإسماعيلية، والسبعية، والبابكية، والمحمِّرة، والتعليمية (Al-Ghazali, 1973: 11). وتابعه في ذلك بعض علماء الزيدية، وأضافوا إليها ألقابا أخرى كالمباركية، الإباحية، الملاحدة، الخرمدنتية، الزنادقة، المزديكية، الشروينية، الميمونية (Al-Dailami, 1982: 14-15). ويرى عبد القاهر البغدادي أن الخُرّمدنية هم الخرمية، وأن الشروينية هم البابكية، وينسبون إلى أمير كان في الجاهلية اسمه شروين أبوه من الزنج، وأمه من بنات ملوك الفرس (Al-Baghdadi, 1977: 251-252). وأما الشهرستاني فأورد ألقاب الإسماعيلية بأنها بالعراق يسمون الباطنية، والقرامطة، والمزدكية. وبخراسان يسمون التعليمية، والملحدة. ثم بين أنهم يعتزون باسم (الإسماعيلية) لتميزها عن الشيعة الأخرى، واقتداء لإمامة إسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر (Al-Shahrastani, 2008: 1/191-192).

وعلى أية حال، فإن الباطنية منسوبة إلى الشيعة الإسماعيلية. وأنها تلقبت بالألقاب المختلفة تبعا لاختلاف البلاد، فكانوا يعرفون في العراق باسم القرامطة ، وباسم المزدكية نسبة إلى مزدك في عهد قياذ الساساني، وفي خراسان باسم التعلمية، وفي مصر باسم العبيديين نسبة إلى عبيد الله المهدي المعروف مؤسس دولتهم، ويعرفون في الشام باسم

النصيرية والدروز، وفي فلسطين بالبهائية، وفي الهند بالبهرة والإسماعيلية، وفي اليمن باليامية، وفي بلاد الأكراد بالعلوية حيث يقولون عليّ هو الله، وفي بلاد الأتراك بالبكداشية، وفي بلاد العجم بالبابية. ويقول أستاذي الدكتور مصطفى حلمي: "وحركات الباطنية تكاد تكون حلقات سلسلة لا تنقطع بدأت بالسبئية، وظهرت في شكلها المعاصر في مذهبي البابية و البهائية. وبالإضافة إلى ذلك، هناك طوائف تندرج تحت فرق الباطنية، ولا يزال لهم أتباع حتى اليوم، وهي النصيرية، نسبة إلى محمد بن نصير النميري مؤسس الفرقة. والدروزية، نسبة إلى محمد بن إسماعيل الدرزي، والبابية والبهائية Mustafa Hilmi, 1984: 170).

وبعد أن ذكرنا ألقاب الباطنية، فالسؤال الذي يطرح نفسه، هل كانت هذه الألقاب المتعدّدة التي ذكرها العلماء مقبولة عند الباطنيين أنفسهم؟.

يبين الداعي علي بن الوليد الباطني موقف الباطنية من هذه الألقاب، وذلك من خلال مناقشته لكتاب (فضائح الباطنية) للإمام الغزالي، إذ يقول: "إن هذه الفرق التي حكاها هذا المارق – قصد به الإمام الغزالي – رحمه الله – وعدّدها، ووسّمها بما وسّمها به من الأسامي والألقاب التي سردها، إنما يلزمنا منها اسم فرقة واحدة، وهي الإسماعيلية، وهم المعزون إلى مولانا إسماعيل بن جعفر الصادق ...، فهذه التسمية لازمة لنا، وبها على سائر فرق الإسلام شرفنا (Ibnu al-Walid, 1982: 1/63).

وواضح في هذا النص أن الباطنية حريصة كل الحرص على أن تلقب بالإسماعيلية، فهم معتزون بهذا اللقب، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على رغبتهم الشديدة بالإنتماء إلى الشيعة، وظلت التسمية بها قائمة ومعترفا بها حتى بدء قيام الدولة الفاطمية على يد عبد الله المهدي في المغرب، في هذا الوقت حلت التسمية الجديدة "الفاطمية" محل الاسم القديم "الإسماعيلية".

ويذكر إيفانوف أن هذه العقائد تطورت إلى ثلاث مراحل:

– الأولى: المرحلة المبكرة، تبدأ منذ تأسيس الدعوة حتى قيام الفاطميين بالمغرب سنة 297هـ.

– والثانية: المرحلة الفاطمية، وتبدأ منذ سنة 297هـ حتى بداية القرن السادس.

– والثالثة: فترة ألموت (عاصمة دولة الإسماعيلية في إيران)، وتبدأ منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع.

ويلاحظ الدكتور محمد السعيد جمال الدين أن المرحلة الأولى تعتبر مرحلة غلو وتطرف في هذه العقائد، بقدر ما تعتبره المرحلة الثانية مرحلة اعتدال وتوسط، إلا أن المرحلة الأخيرة في ألموت تمثل في غالب الأحيان ارتدادا إلى الغلو والتطرف في العقائد الإسماعيلية، فرغم أن عقائد الأولين منهم قد حظيت على يد الفاطميين بشيء من التغيير والتبديل بغية وضعها موضع الاعتدال، إلا أن هذه العقائد المتطرفة تعيش إلى ما بعد انتهاء العصر الفاطمي، وتؤثر تأثيرا كبيرا في إسماعيلية إيران. ويمكننا إرجاع هذا التغيير –أقصد تغيير الاسم– لأسباب عدة أهمها: ربط اسم الدولة الجديدة باسم مرغوب فيه، ومحبب لقلوب الناس في المغرب، ألا وهو اسم "فاطمة الزهراء" ابنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من جهة، ومن جهة أخرى للتمييز بينهم وبين "العلويين" الآخرين الذين ينحدرون من علي بن أبي طالب من أم غير فاطمة الزهراء، ومن الجدير بالذكر أن اسم "الإسماعيلية" عاد بعد انهيار الدولة الفاطمية في مصر إلى الحلول محل "الفاطمية"· واشتهر الإسماعيليون أو الباطنيون في تواريخ الصليبيين باسم "الحشاشين"، وكان هذا الإسم يلفظ ويكتب بأشكال متباينة، إما بسبب غلط النساخ كما يقول فالكونيت أو بسبب جهل المؤلفين أنفسهم، ومن بين تلك التحويرات، تلك التي أصبحت أكثرها وثوقا، وهي: Assassini Assessini , Assissini Heissessin

النزاع السياسي للنظرية السياسية عند الفرق الشيعية

إن الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية يرون الإمامة أسمى وأجل أركان الدين، وأنها كالنبوة، واستمرار لها، ولذلك لا بد من وجود الإمام في كل زمان ومكان. فقد خالف الشيعة الزيدية هذه الأقوال، لأنهم لم يرفعوا الأئمة إلى مرتبة النبوة أو مرتبة تقاربها، بل الشيعة الزيدية يعتبرونهم بشرا كسائر الناس، فهذا واضح من الشروط الخلقية أى الطبيعية التي وضعوها للإمام، وهي: العلم، والورع، والفضل، والشجاعة، السخاء، القوة على تدبير الأمر. فهذه الصفات التي يجب توافرها على الإمام، في نفس الوقت توضّح لنا أن المذهب الزيدي يرفض أن يخرج الإمام عن صفات البشرية ويتصف بصفات النبي والرسول. وأما الصفات التي لا يجب كونه عليها، فهي كأن يكون أعلم الناس، أو أن

يكون معصوما كالنبي صلى الله عليه وسلم -كما ذهب إليه الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية-. يقول الصاحب بن عبّاد الزيدي المعتزلي: " إنه لا يجب أن يكون أعلم الناس لجميع المعلومات، على ما ذهب إليه الإمامية ونفر منه الزيدية، ولا يجب أن يكون مأمون الباطن كالرسول صلى الله عليه وآله". ثم استدل على عدم كون الإمام أعلم الناس، لأن الإمام إنما يحتاج إليه لتنفيذ أحكام مخصوصة من جملة الشرعيات وما يتصل بذلك (Ibn Ibad, 1986: 181-183).

وأجاز الشيعة الزيدية خلو بعض الأزمنة من وجود أئمة لقهر الظلمة من يعين صاحب الحق الشرعي في الإمامة أوالخذلان العامة، وعدم قيام الإمام في هذه الأحوال يشبه حالة من يجبر على ترك الصلاة، وكالحج لا يجب على أحد حتى يتمكن من شروط وجوب الحج، وذلك في حال انعدام الخروج (Al-Qasim, 2003: 160). وقد قرر بذلك الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، حيث قال: "يجوز خلوّ الزمان عن الإمام عقلا وشرعا" (Al-Murtaza, 2001: 2/579).

ولذلك يرى السيد محمود شكري الألوسي أن معنى الإمامة عند الزيدية الخروج بالسيف، وأنهم يعتقدون الإظهار من عمدة شرائط الإمامة (Al-Alusi, 1373H: 189). ونظرا لأن الخروج بالسيف شرط للإمامة عندهم، وأن السكوت والتقية منافيان لها، فلا يقولون بإمامة علي بن الحسين الملقب بـ (زين العابدين). ومن هنا كان خروج زيد جوهر القضية السياسية في الفكر الزيدي، ويلاحظ الدكتور عبد العزيز المقالح باختفاء هذا الفكر بعد أن تحول إلى مذهب سلطوي يلغى حق الخروج حماية للحكام الظالمين، ويذكر أن الإمام في الأدبيات القديمة للفكر الزيدي إذا تميز عن المحكومين بأثواب فخمة، وجب الخروج عليه، وأصبحت الثورة لإبعاده عن حكم الناس واجبة حتى لا يتمادى في أطماعه، ويقود الناس إلى الهلاك (Al-Maqalih, 1982: 22-23).

ويبدو أن الزيدية قد وجهوا انتقاداتهم للإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية في هذه المسألة إلى وجهين:

الأول : المساواة بين الأنبياء والأئمة .

والثاني : القول بضرورة وجود الإمام في كل زمان .

فلننظر إذن، كيف أمكن للزيدية نقد مقالة الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية في قولهم بأن الإمام كالنبي، وأنه لا تخلو الأرض من وجود إمام.

النقد الأول: نقد الزيدية لقولهم بالمساواة بين النبوة والأئمة

انتقد الزيدية قول الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية بأن الأئمة كالنبوة، فهي تساوي النبي في العصمة والاطلاع على حقيقة كل شيء، إلا أنه لا ينزل عليه الوحى، بل يتلقى ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه خليفته، وأن له معجزة. وقد نقل لنا الإمام يحيى بن حمزة قولهم في كتابه (Ibnu Yahya, 1971: 60). فقال إن الإسماعيلية الباطنية: "اتفقوا على أنه –أى الإمام– يساوي النبي في العصمة والاطلاع على كنه حقائق الأمور كلها، إلا أنه لا ينزل عليه الوحي". وكما نقل قبله الإمام محمد بن الحسن الديلمي في كتابه "قواعد آل محمد، ص 48"، فقال إنهم: "يعتقدون أن الإمام يعلم الغيب، وأن العلم يتصل به من مبدع عالم الكون". وقد أصاب الشيعة الزيدية في نسبة هذا القول إلى الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية –أى قياس الأئمة على الأنبياء–حيث أشار إلى ذلك الداعي أحمد النيسابوري الباطني بأن في إثبات الإمامة إثبات الرسالة، والمقر بالإمام مقر بالرسالة. والرسول قبل قيامه بوضع الشريعة يكون من جملة الأئمة. ذلك لأنه قد سمى الله تعالى الإمام رسولا في قوله تعالى: [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا] –مريم: 54–. وسمى الرسول إماما في قوله تعالى: [إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا] –البقرة: 124–. وهذا كان بعد تمام الرسالة حيث قال: [وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا] –البقرة: 124–. فالإمام يقوم مقام الرسول في وقته وزمانه، ويقرر الباطنية بأن الإمام هو النبي في وقته، والوصي في عصره، والإمام في زمانه (Ibnu al-Walid, 1982: 1/189-287). وفي نفس السياق يؤكد الشيخ محمد رضا المظفر الإمامي المعاصر بأن الإمامة كالنبوة لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم، وعلى هذا، فالإمامة استمرار للنبوة (Al-Muzaffar, 1989: 65-66).

فقد رد عليهم الشيعة الزيدية بأنه لا يجوز قياس الإمامة على النبوة، لأن الله عز وجل قد اختص أنبياءه بالخصائص الشريفة كالمعجزة، فأكرمهم بها دون سواهم من الخلق، يقول

الإمام أحمد بن سليمان الزيدي: "إن الرسول لا يصدّق إلا ببرهان بيّن، وحجة واضحة. فأظهر الله على يدي الرسول من الدلائل، والآيات، والبراهين، والمعجزات ما يعجز عنه غيره من الناس ليصح ما هو عليه من البناء والأساس. وقد قصّ الله قصص الأنبياء عليهم السلام، وذكر معجزاتهم، وما كان من اجتهادهم وإظهار براهينهم ودلالاتهم" (Ahmad Sulayman, 2003: 418). ولذلك، جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالأخبار الكثيرة عن الغيوب الماضية، نحو: إخباره بقصة آدم وحوّى وأولادهما، ونوح وقومه، وأخبار سائر الأنبياء المفصلة في القرآن، وأصحاب الكهف، وذي القرنين. وهذا هو الإخبار عن الغيوب الماضية. وأما إخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب المستقبل، فنحو: إخباره بأسرار المنافقين، وما قد عزموا على فعله في المستقبل، وإخباره بأن اليهود لا يتمنّون الموت في قوله تعالى : [وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] -البقرة: 95. وكان الأمر في ذلك على ما أخبر. ونحو: إخباره بهزيمة بدر قبل وقتها في قوله تعالى: [سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ] -القمر: 45-. فكان الأمر على ما أخبر. ونحو: إخباره بقصة ملك الروم وفارس في قوله تعالى: [الم. غُلِبَتْ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ] -الروم: 1-3-. فهذا مما لا يمكن البشر الإعلام به، إلا بإعلام الله تعالى (Badruddin, 2001: 277-278). ومن هنا، يسأل الإمام القاسم الرسي الزيدي الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية على قياسهم الإمامة بالنبوة، وذلك بعد عرضه لصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلمه، وفعله، وبعثته. فيقول: " فأين صفة أئمتهم وأحوالهم من صفة النبي صلى الله عليه وآله، وأحواله، وأين ما يرى من أفعال أئمتهم -قديما وحديثا- فيما وصفنا كله من أفعاله ؟ لا أين، إن كابروا أو أقروا بخلاف ذلك؟" (Al-Qasim 2000: 101).

ومن هنا، يؤكد القاضي جعفر بن عبد السلام الزيدي على عدم استطاعة أحد أن يبلغ درجة النبوة، حتى الإمام عليّ بن أبي طالب وغيره من الأئمة. لأنها درجة اختصها الله للنبوة بأنواع المعجزة، منها:

- قوله تعالى: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ] - الحديد: 26.
- وقوله تعالى: [وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ] - سبأ: 10.

فالرسالة -في رأيهم- لمن اصطفاه الله تعالى بهذا المنصب الرفيع الأعلى. وأن أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده من الأئمة السابقين ومن معهم من العلماء العاملين لم يصلوا إلى هذه الدرجة، مع أنهم قد استفرغوا الوسع في العبادة، وبلغوا في العلم والعمل منتهى الاستطاعة.

ويناقش الصاحب بن عبّاد الزيدي الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية على فساد قولهم بجواز ظهور المعجز على غير الأنبياء من الأمم، فقال: "لا وجه يقتضي الحاجة إلى ظهور المعجز على الإمام، كما لا وجه يقتضي الحاجة إلى ظهور المعجز على الأمراء والحكام، وهذا بين لا لبس فيه، لأن المعجز لو جاز ظهوره على غير الأنبياء، لخرج من أن يكون دلالة على نبوتهم، لأن ذلك متى جاز أن يفعله الله تعالى من دون أن يقصد به تصديق الأنبياء، لكان سبيله سبيل سائر الأفعال التي يحدثها الله سبحانه بحسب المصالح، ولو كان هذا سبيله لم يمتنع أن يظهره الله تعالى على كثير من الناس في خلواتهم لتعلق مصالحهم بذلك من دون أن يقف عليها غيرهم، إذ لا تعلق لغيرهم بمعرفته " Ibnu (Ibad, 1986: 199-202).

ومن جانب آخر يردّ الإمام الحسين بن القاسم العياني الزيدي دعاوى الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية بأن الإمام أعلم الناس جميعا، وذلك قياسا على النبي والرسل. إذ يرى أن الإمام الذي زعموا به لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه:

الوجه الأول : إما أن يكون يعلم الغيب .

والوجه الثاني : وإما أن يكون يُوحَى إليه .

والوجه الثالث : وإما أن يكون كاهنا ساحرا .

وإن قالوا: إنه يعلم الغيب، فخرجوا من ملة الإسلام ، وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالاحتجاج على المشركين، فقال تعالى : [قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] -الأعراف: 188-. وقال تعالى: [قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ] -الأحقاف: 9-. وقال تعالى: [وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ] -لقمان: 34-. وإن قالوا: إنه يُوحَى إليه فخرجوا إلى ما هو أعظم مما نفوه، حيث جعلوا إمامهم نبيا، وجحدوا قول الله

تعالى: [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ] – الأحزاب: 40. وإن قالوا: إنه كاهن ساحر، فهذا القول أعيبه وأفضحه على من ينتحل التشيع في آل الرسول، لأن من نسب إليهم السحر والكذب فقد عابهم بأعظم العيب، ومن كان ساحرا كذابا، فهو ظالم.

وقد أكد بذلك الإمام أحمد بن سليمان الزيدي، فقال: "وأما قولهم –الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية– بإن إمامهم يعلم الغيب، فهذا كذب منهم وتكذيب بكتاب الله، قال الله تعالى: [قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ] –النمل: 65. وقال الله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] – لقمان : 34. فبطل قولهم" Ahmad Sulayman, 2003: 503l-Ghazali, 1962: 11).

وأما الإمام محمد بن الحسن الديلمي الزيدي فقد أبطل ادعاء الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية بمعرفة أئمتهم بالغيبيات بأن ما يقوله الباطنية بأن الإمام يعلم ما يحدث في الأرض لا دليل عليه عقلا وسمعا، كيف وقد علمنا أن النبوة تزيد على الإمامة، وقد قال تعالى إخبارا عن نبيه صلى الله عليه وسلم: [وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ] –الأعراف: 188–. فقد اعترف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على قصوره عن معرفة الغيب، فما بال الإمام وهو أقل من النبوة درجة Al-Daylami, 1987: 49).

ومن هنا، يرى الزيدية أن الاشتراط بأن يكون الإمام أعلم الناس فاسدة وخطيرة للغاية، لأنه سيؤدي إلى سدّ باب الإمامة، من حيث إنه لا طريق لأحد إلى معرفة ذلك، إلا بأحد وجهين: إما بوحي من الله تعالى: فهذا باطل لأنه خاص بالأنبياء صلوات الله عليهم، أو بأن يحيط الإنسان بأقطار الأرض، ويعرف علماءها ومقادير علمهم، وكل ذلك متعذر لا يمكن الحصول عليه (Al-Rasas, 2002: 227).

هكذا أكد الشيعة الزيدية على أن الأئمة لا تقاس بالأنبياء صلوات الله عليهم لعلوّ درجتهم عند الله تعالى، فمهما فعل الأئمة من عناية واجتهاد لم يصلوا إليها، لا من قريب

ولا من بعيد، لأن الله تعالى قد أكرم أنبياءه بالآيات، والبراهين، والمعجزات. وهذا حال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أفضل الصحابة، كما أجمع عليه فرق الشيعة، لم يصل إلى هذه الدرجة أى درجة النبوة، فما بال باقي الأئمة. وبناء على ذلك، أشار الإمام أحمد بن موسى الطبري الزيدي بعد عرضه لاعتقاد المذهب الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية في الأئمة إلى أن مذهب الزيدية هو أصح المذاهب الشيعية لبعده عن الغلو في أمر الأئمة ، لذلك رأى أنه مذهب معتدل بين المذاهب الشيعية الأخرى، قوله في ذلك: "والنمط الأوسط فهم الزيدية الذين قالوا: إن محمدا رسول الله ، وعليّا وصيّه، وقالوا: فُضّل عليّ بطاعته لمحمد، وإن محمدا خاتم النبيين، وإن عليّا أولى بمقام النبي من الناس كلهم في أمته، لقول الله فيه وقول رسوله، مع إجماع الأمة على إمامته ... وزيد بن عليّ عليه السلام أعلم بسيرة جدّيه محمد وعليّ، ولذلك أخذ المسلمون بقوله، ورفضوا قول من خالفه من الإمامية والحشوية" (Al-Tabari, 1421H: 192-193).

النقد الثاني: نقد الزيدية لقولهم بضرورة وجود الإمام في كل زمان

أورد الشيعة الزيدية قول الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية بأن الأرض لا تخلو من إمام أو وصي، أو بعبارة أخرى أنه لم يخل قرن من القرون إلا وفيه وصي أو نبي، أو وصي من وصي، يقيمه تعالى تعالى حجة على عباده، له علم خاص وحال خاصة، ومن جهله ضلّ، وطاعته مفروضة، ومعرفته مفروضة على جميع أهل زمانه. ويذكر الإمام محمد بن الحسن الديلمي الزيدي أن هذا إجماع منهم، إذ يقول إن الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية: " اتفقو على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم يرجع إليه في جميع العلوم، ولا يلتفت إلى المعقول أصلا، ويؤكد بذلك الإمام يحيى بن حمزة الزيدي، حيث يقول إنهم: "اتفقوا على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم، قائم بالحق، يرجع إليه في تأويلات الظواهر، وحل الإشكالات في القرآن والأخبار، ويكشف كل ملبس في المعقولات" (Yahya, 1971: 60). ومن هنا، سميت الشيعة الإثنى عشرية و الاسماعيلية "إمامية" لقولهم بأن الأرض لا تخلو من إمام طرفة عين، إما مشهور وإما مستور.

وقد رد الشيعة الزيدية هذه الدعاوى بأنها افتراء وكذب، لأنه قد مضت فترة من الفترات التي خلت من الرسل ولم يكن هناك إمام أو وصي. وفي ذلك يقول الإمام القاسم الرسي

الزيدي: "فيسألون ولا قوة إلا بالله، عن فترات الرسل في الأيام الماضية، وما لم يزل فيها لا ينكره منكر ولا يجهله من الأمم الخالية، هل خلت منها فترة، وأمة منهم مستقلة أو مستكثرة من أن يكون فيها إمام هاد، حجة لله على من معه من العباد، يعلم من حلال الله وحرامه، وجميع ما حكم الله في العباد من أحكامه، ما يعلم ممن تقدمه، وكان قبله من كل ما حكم الله به ونزّله" (Al-Qasim, 2000: 89).

والغريب كما يرى الشيعة الزيدية أن الشيعة الإسماعيلية –على وجه خاص– يدّعون بأن سلسلة الإمامة عندهم تبدأ من آدم عليه السلام، وليست من إسماعيل بن جعفر الصادق، وزعموا أن آدم كان سوسه شيث، ويسمى متما ولاحقا، فهذا القول لا يمت إلى الإسلام بشيء، لأنه مجرد هذيان وخرافة. (Yahya, 1971: 60-61).

وقد أرجع الإمام القاسم الرسي الزيدي هذه الفكرة –أى فكرة الوصية– إلى قول البرهمية، وهي ديانة ظهرت بعد الفيدية ، تقول بإله مجرد أعلى خلق العوالم كلها ، وتجعل الناس طبقات منفصلة على رأسها الكهنة ، وتدعو إلى تقديم القرابين ، وتأخذ بالتناسخ ليتخلص المرء من القيود التي تربطه بالدنيا ، وقال مؤرخو الفرق الإسلامية إنها تنكر النبوات والبعث ولها فلسفتها الخاصة. ويدل على ذلك قوله: "وما قالت به الرافضة من الأوصياء من هذه المقالة، فهو قول فرقة كافرة من أهل الهند يقال لهم البرهمية، تزعم أنها بإمامة آدم، من كل رسول وهدى مكتفية، وأن من ادعى بعده نبوة أو رسالة، فقد ادعى دعوى كاذبة ضالة، وأنه أوصى بنبوته إلى شيث، وأن شيئا أوصى من ولده، ثم يقودون وصيته بالأوصياء إليه من ولده". ثم انتقدها بأن نبي الله إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن قبل نبوتهما وبعثتهما وصي، ولو كان معهما صلى الله عليهما، يومئذ وصي المرسلين، لكان إسلام الوصيّ وإيمانه، قبل إسلام وإيمان إبراهيم ومحمد عليهما السلام، ويقين الوصيّ بالله وعلمه قبل علمهما بالله وإيقانهما ، ولما جاز أن يقول محمد صلى الله عليه وسلم : [وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] –الأنعام : 163–. فيما سبقه غيره ممن معه إليه. (Al-Qasim, 2000: 94).

وكما سبق أن ذكرنا أن الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية استدلوا على ما ذهبوا إليه من ضرورة وجود الإمام في كل زمان ومكان بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية».

والسؤال هنا، هو ما موقف الشيعة الزيدية من هذا الحديث؟.

والواقع أن الشيعة الزيدية قد استدلوا أيضا بذلك الحديث في مسألة الإمامة، ولكنهم لا يقولون مثل تأويل الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية من أن الزمان لا يخلو من إمام، فالتأويل الصحيح عندهم أن الحديث جاء لإثبات وجوب الإمام، وعقدها، ومعرفة أوصافه (Al-Qasim, 2000: 94). ومن ثم يناقش الإمام أحمد بن الحسن الرصّاص الزيدي تأويل الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية للحديث السابق بقوله: "والمراد بذلك أن يعرف الأوصاف التي يختص بها الإمام لأنه متى عرف ذلك، كان متمكنا من متابعة الإمام عند قيامه بأن يختبره، فإن وجد هذه الشروط متكاملة فيه، وجبت عليه متابعته، وإن وجدها غير متكاملة فيه، لم يلزمه متابعته ... ولا يصح أن يحمل هذا الخبر على أن الزمان لا يخلو من إمام" (Rasas, 2002: 228).

وقد أكد ذلك الإمام القاسم بن محمد الزيدي: "إن المراد بذلك –أي الحديث– وجوب معرفة الإمام الذي يقتدى به، ويهتدي بهديه بالشهرة أو بالخبرة، فإن لم يكن ظاهرا وجبت معرفة من يستحق في الجملة والانتظار لظهوره، والاستعداد لطاعته، ونصرته، ونصيحته. فإن كان المكلف يتمكن من معرفة ذلك بالنظر في الأدلة، وإلا سأل أهل الصلاح من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وشيعتهم رضي الله عنهم، فإن لم يفعل ذلك مات ميتة جاهلية كما في الخبر" (Al-Qasim Muhammad, 2003: 668).

ومن الجدير بالذكر هنا، أن الإمام الهادي يحي بن الحسين الزيدي يذهب كما يذهب إليه الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية في هذه المسألة، حيث قرر بأنه لا يخلو زمان من إمام. ويتبين ذلك عند شرحه للحديث السابق، إذ يقول: "إنه لا يعدم في كل عصر حجة لله يظهر منهم إمام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإذا علم ثم مات فقد نجا من الميتة الجاهلية، ومات على الميتة الملية. ومن جهل ذلك، ولم يقل به، ولم يعتقده ، فقد خرج من الميتة الملية، ومات على الميتة الجاهلية هذا تفسير الحديث ومعناه" Yahya (Husein, 1424H: 2/467).

ولا يحتاج هذا النص إلى تفسير، حيث يفيد على أن الأرض لا تخلو من إمام مفروض الطاعة، ولا غرو في ذلك، لأن الإمام الهادي في حدّ ذاته كان يتجه تجاه الجارودية ، والجارودية تمثل من الزيدية الاتجاه الأكثر ميلا للشيعة الإمامية. وتابع هذا الرأي من

الزيدية الإمام الحسين بن القاسم العياني، حيث قال: "إن الأرض لا تخلو من الحجة" (Al-Husein al-Iyani, 1998: 242).

النزاع السياسي في نصب الأئمة عند الفرق الشيعية.

أجمعت الشيعة على اختلاف فرقها ومذاهبها على وجوب الإمامة بالنص والتعيين) واتفقوا على أن الأئمة الثلاثة: عليّ بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين منصوصة. إلا أن النص للإمام عليّ عند الزيدية –باستثناء الإمام حميدان بن يحيى – ثبت بالنص الخفي، وأما الحسن والحسين فثبت بالنص الجلي. وأما الأئمة بعد هؤلاء الثلاثة فليس بمنصوص عليها، إذ يكون الإمام إمامًا بالدعوة. فالإمام لا يصير إماما بمجرد اجتماع الأوصاف المشروطة في المذهب، بل لا بد من ثبوته بالدعوة أي أن يخرج هذا الإمام داعيا لنفسه، ليباين الظالمين. والجدير بالذكر، أن الصالحية من الزيدية يقتربون من أهل السنة في هذا الصدد، حيث يرون أن طريق الإمامة بعد هؤلاء الأئمة الثلاثة بالعقد والاختيار. (Ibnu Ibad, 1986: 192).

بينما يرى الشيعة الإمامية الإثنى عشرية أن الأئمة المكونة من اثنى عشر نفرا كلهم منصوصة نصا جليّا، إلا أن مَنْ نُصّ عليهم وفي عصور غيبة الإمام ، فالمجتهد الجامع للشروط هو نائبٌ للإمام في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق وأما الشيعة الإسماعيلية الباطنية، فنصوا أئمتهم بدءا من عليّ بن أبي طالب إلى ظهور القائم وهو محمد بن اسماعيل. ويُضاف إلى ذلك فَإِنَّ الإمامية والإسماعيلية متفقون على تكريس الإمامة في ذرية الحسين دون الحسن، بينما تجعلها الزيدية في ذرية الحسن والحسين بلا فَرْقٍ. (Al-Hilli, 2001: 31).

وقد انتقد الشيعة الزيدية آراء الشيعة الإمامية والشيعة الإسماعيلية في قولهم بأن النص على الأئمة وخاصة الإمام عليّ جلي وصريح، حيث قرروا أن الأدلة التي تفيد إمامته ليست ظاهرة، لأن دلالته خفية، حيث لم يرد فيها ذكر الإمامة . فالنص على الإمام عليّ بالإشارة والوصف دون التسمية والتعيين. ذلك أنه لو كان النص صريحا لوجب اشتهاره، لأنه مما تعم به البلوى. ثم انتقدوا قول الإمامية والإسماعيلية باختصاص الإمامة لأبناء الحسين دون الحسن، إذ يقررون أن ما دل على جواز الإمامة في أولاد الحسين يقتضي جوازها في أولاد الحسن بلا فَرْقٍ. بدليل أنهم من ذرية النبي صل الله عليه وسلم،

ولذلك، لو أن صحة الإمامة متوقفة على القرابة من النبي صلى الله عليه وسلم، فأولاد الحسن منهم ، فهم أهل البيت كأولاد الحسين.

والواقع أن الذي دفع الإمامية والإسماعيلية إلى تخصيص أبناء الحسين لمنصب الإمامة دون الحسن، هو تنحّى الإمام الحسن عن الخلافة وتنازله عنها لمعاوية بن أبي سفيان . ومن هنا ، ابتدع الإسماعيلية نظرية الإمام المستقر والإمام المستودع .

وإذا كان الشيعة يقولون بأن الإمام بعد النبي صلى الله عليه وسلم هو عليّ بن أبي طالب، فما كان موقفهم من الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم – أبو بكر ، وعمر ، وعثمان – وغيرهم . تجتمع آراء الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية في أنهم مخطئون مخالفون لوصية النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا إنهم كذابون وخائنون وكافرون. .(Mansur, Ja'far, 1984: 67)

يقول الإسماعيليون الباطنيون أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، لم يكن منصوصا عليه من الله، ولا من رسول صلى الله عليه وسلم، لم يكن طاهرا ولا مطهرا، عبد الأوثان ومجدها من دون الله، لم يكن عفيفا، لأنه يشرب الخمر في الجاهلية. وفي المقابل يقولون: إن عليا كان عادلا رحيما عالما بالقضاء والتأويل، والحلال والحرام، كان من السابقين، لم يعبد الأوثان، ولا شرب الخمر، كان محبوبا من الله ورسوله، منصوصا عليه من الله ورسوله .(Ibnu al-Walid, 1982: 110-112)

وجاء في كتاب "زهر المعاني" للداعي إدريس عماد الدين الباطني: "ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم جامعا لمن تقدمه عن الأنبياء ، اجتمع في دوره الأضداد الكبراء العظماء، كما قال تعالى: [وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنْ الْمُجْرِمِينَ] –الفرقان: 31-. وكان من أضداده أبو لهب الذي كان من دعوة أبي طالب، وعبد المطلب تكبر لما رأى الفضل في محمد قد ظهر، وعصى كعصيان الحرث بن مرة، وأصر واستكبر، وكان أعوانه على ذلك أبو جهل بن هشام، وابن أبي قحافة (أبو بكر)، وابن الخطاب، فكان كيد الشيطان أبي جهل ضعيفا، وكان كيد عتيق وعمر عظيما فمكروا، وغدروا، وأصروا، واستكبروا، وغيروا الشريعة، وأفسدوها" (Imaduddin, 1991: 155).

واضح من هذه النصوص، أنهم يعتبرون أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنه من الكافرين والطغيان والماكرين، ويعتبرونهم في درجة واحدة مع أبي لهب، وغيرهم.

وأما عن موقف الإسماعيلية الباطنية من بقية الصحابة رضي الله عنهم، فيتضح ذلك في تأويل الداعي إدريس عماد الدين الباطني لقوله تعالى : [وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ] -النمل: 48-. إذ يرى أن المراد بالتسعة هم: عتيق، وابن الضحاك، وابن عفان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبوعبيدة بن الجراح، فهم الذين أفسدوا أرض الشريعة، وما أصلحوا، وهم باينوا أمير المؤمنين بالعداوة فخسروا الدنيا وما ربحوا (Imaduddin, 1991: 155).

هكذا يرون أن مجتمع النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعا متآمرا، لم ينج من الانحراف والمروق عن الدين، باستثناء اثنا عشر صحابيا هم -بالإضافة إلى عليّ- عم العباس، والفضل، وسهل بن حنيف، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن عمرو، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب، وخالد بن سعيد، وأبو أيوب الأنصاري، وأما بقية أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فهم مجرد عصابة، بقيت تظهر من الولاء للرسول، خلاف ما تضمره من المكيدة، تعلن الطاعة، وهي تتوق لليوم الذي تشهد فيه موت الرسول لتخطف منه عرش الملك، وتستأثر بالسلطة دون أبنائه، أو بالأصح أبناء بنته فاطمة الزهراء رضي الله عنهم. وانطلاقا من هذا المعتقد، فإن لعن صحابة الرسول وسبهم، أصبح في الفكر الباطني مجالا تعبديا، يتقربون إلى الله تعالى، لأن الصحابة اغتصبوا عرش الخلافة –في تصورهم–.

وهذا بعينه مذهب الإمامية الإثنى عشرية فكتبهم مليئة بألفاظ التكفير واللعن والسب والطعن على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد روى الكليني عن عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماما من الله، ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيبا. ويعنون بهما: أبو بكر وعمر رضي عنهما. وفي موضع آخر روى هذا المحدث الإمامي: "عن عبد الله في قول الله تعالى عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) قال:نزلت في فلان ، وفلان ، وفلان (يقصدون بهم أبا بكر، وعمر وعثمان، آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله في أول الأمر، وكفروا حيث عرضت

عليهم الولاية، حين قال النبي صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام ، ثم كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يقروا بالبيعة ... ثم ازدادوا كفرا بأخذهم من بايعوا بالبيعة لهم ، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء" (Al-Kulayni, 1418H: 1/420).

وأما الزيدية فمنقسمون إلى ثلاثة آراء : فالجارودية من الزيدية يرون تكفيرهم جميعًا . وأما الصالحية أو البترية – وهم أقرب الفرق الزيدية إلى أهل السنة – فلا يرون بالتكفير، إلا أنهم توقفوا في أمر عثمان. وأما السليمانية أو الجريرية فلم يكفروا إلا عثمان ، وكفروا كذلك كل مَنْ حارب عليّا كعائشة وطلحة والزبير. ولكن الحقيقة أن موقف جمهور الزيدية من الصحابة رضوان الله عليهم موقف الترضي ، ولذلك انتقدوا الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية لسبهم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وقرروا أن بيعتهم ليست خطأ طالما أن عليّا قد ترك حقه راضيا . ومن هنا فلا يجوز لأحد تفسيقهم فضلا على التكفير (Nurdin, Kamaluddin, 2009).

وقد انتقد أهل السنة هذا الموضوع أي التعيين والتنصيب بالنص، فقالوا إن الأخبار التي يدعيها الشيعة في النص على عليّ بن أبي طالب قد عارضها إجماع المسلمين في الصدر الأول على إبطالها وتركها، لأن الأمة كلها انقادت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ودانت بوجوب طاعتهما، والسكون تحت رايتهما، وفيهم علي والعباس وعمار بن ياسر والمقداد وأبو ذر والزبير بن العوام، وكل مَنْ ادعى له النص، وروي له.

ويرى أهل السنة أن قولهم بأن عليّا تصدق بخاتمه في حال ركوعه، قول مخالف للواقع، ذلك أن الإمام عليّ لم يكن مِمَّنْ تجب عليه الزكاة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه كان فقيرًا، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملك النصاب حولاً، وعليّ لم يكن مِنْ هؤلاء. كذلك فإن إعطاء الخاتم في الزكاة لا يُجزي عند كثير من الفقهاء، إلا إذا قيل بوجوب الزكاة في الحليّ، وقيل: إنه يخرج من جنس الحلي، و من جَوَّزَ ذلك بالقيمة، فالتقويم في الصلاة متعذر، و القيم تختلف باختلاف الأحوال.

وأما الحديث الذي استدل به الشيعة : « مَنْ كنتُ مولاه ، فعليّ مولاه » . Hadis (Ibnu Majah, no: 118). فإنه في رأي أهل السنة لا يدل على ولاية السلطة التي هي

الإمامة أو الخلافة، ولم يُستعمل هذا اللفظ في القرآن بهذا المعنى، بل المراد بالولاية فيه: ولاية النصرة والمودّة، التي قال الله تعالى فيها في كل من المؤمنين والكافرين، فعن موالاة المؤمنين بعضهم لبعض قوله تعالى: [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] – سورة التوبة : 71 – . وأما عن موالاة الكافرين بعضهم لبعض فقوله تعالى : [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ] – سورة الأنفال : 73 – . إذن ، فمعنى الولاة: من كنت ناصرًا له ومواليًا له، فعليّ له ناصر وموالي، أو من والاني ونصرني فليوال عليّا وينصره، وحاصل معناه: أنه يقفو أثر النبي صلى الله عليه وسلم، فينصر مَنْ ينصر النبي، وعلى من ينصر النبي أن ينصره ، وهذه مزية عظيمة، وقد نصر كرم الله وجهه، أبا بكر، وعمرا، وعثمان، ووالاهم. فالحديث ليس حجة على من والاهم مثله من أهل السنة والجماعة، بل حجة له على مَنْ يبغضهم ويتبرأ منهم، أى حجة للسنة ضد الشيعة، وليس العكس ... فهو لا يدل على الإمامة، بل يدل على نصره إمامًا ومأمومًا، ولو دل على الإمامة عند الخطاب، لكان إماما مع وجود النبي، ولم يقل أحد بذلك .

الخاتمة:

وفي النهاية تَوَصَّلْتُ إلى أن فرق الشيعة –الزيدية، الإمامية الإثنى عشرية، الإسماعيلية الباطنية– اختلفوا بعضهم يعضا في الأمور السياسية، إلى حد التضليل والتكفير بعضهم على بعض، والسبب بطبيعته هو اقتران الفكر السياسي عند الشيعة بنظرية "الإمامة"، وهي قضية من القضايا الشائكة في التاريخ الإسلامي، لا سيما أنها أول قضية حدث فيها خلاف بين المسلمين، وأهم مواطن الخلاف في هذه القضية هي سؤالان: هل أن الإمامة مصلحة دنيوية يوكل أمرها إلى الأمة، فتختار من يصلح لها، أو أنها مصلحة دينية لا يجوز إغفالها ولا تفويضها للأمة –بمعنى أنها ليست بطريق الانتخاب، وإنما هي بالتعيين والوصية–؟. هل أن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي صحيحة أو أنه هناك نزاعا في البعض منهم–؟. وقد أدى هذا الخلاف إلى تفرق الأمة الإسلامية إلى جماعات، وفرق، ومذاهب، وبخاصة الشيعة. فمنذ الخلافة الراشدة وحتى الآن والصراع بين المذاهب الإسلامية قائم حول مَنْ له الأحقية في تولي الإمامة أو الخلافة من المسلمين. ولعل هذا الصراع هو الذي دعى الإمام الزيدي أحمد بن الحسن الرصّاص إلى اعتبارها مسألة صعبة

على الأمة الإسلامية، إذ يقول: "ولا شك أن الإمامة من الأمور الشاقة المتعبة" Rassas, (2002: 224).

وتبين فيما سبق اتفاق الشيعة —بمختلف فرقه ومذاهبه واختلاف آرائه— على أن الأئمة الثلاثة: عليّ بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين، منصوصة. واستدلوا على ذلك بأدلة من القرآن والسنة، وأهمها من القرآن قوله تعالى: [إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ] -المائدة: 55-. وقوله تعالى: [يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ] -المائدة: 67-.

وأما من السنة فقوله صلى الله عليه وسلم يوم الغدير: «أيها الناس! ألست أولى منكم بأنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: «من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله». (Hadis Ibnu Majah, no: 118). وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» (Hadis Tirmizi, no: 3663). وقوله صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». (Hadis Muslim, no: 10999).

فكل هذه الأدلة -في رأي الشيعة- تدل على إمامة عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين. وعلى الرغم من اتفاقهم في الاستدلال بولاية الأئمة الثلاثة بتلك الأدلة، إلا أنهم اختلفوا على رأيين فيما إذا كانت هذه النصوص صريحة أو خفية. والله أعلم بالصواب

REFERENCES

Abdul Latif al-'Abd. (1976). *Al-Insan fi Fikri Ikhwan al-Safa*. Kaherah-Egypt: Maktabah al-Anjlou.

Abu Zuhrah, Muhammad. (1990). *al-Mazahib al-Islamiyah*. Kaherah-Egypt: Dar al-Fikr.

Ahmad Musa al-Tabari. (1421H). *Kitab al-Munir*. Markaz Ahli al-Bayt li al-Dirasat al-Islamiyah, Sa'dah-Yemen

Ahmad Sulayman. (2003). *Kitab Haqaik al-Ma'rifat*. Yemen: Muassasah Zeid.

Al-'Alawi, Yahya bin Hamzah. (1971). *Al-Ifhaf li Af Idatil Batiniyah al-Tagham*. Alexandria-Egypt: Minsha'ah al-Ma'arif.

Al-Asfarayani. (1999). *Al-Tabsir fi al-Din*. Kaherah-Egypt: al-Maktabah al-Azhariyah.

Al-'Asy'ari, Abu al-Hasan. (2002). *Maqalat al-Islamiyyin*. Beirut-Lebanon: Dar Ihya al-Turas al-Arabi.

Al-Baghdadi. (1977). *Al-Farq Bayna al-Firaq*. Beirut-Lebanon: Dar al-Afaq al-Jadidah.

Al-Daylami, Muhammad bin al-Hasan. (1987). *Qawaid 'Aqaid Ali Muhammad*. Yemen: Maktabah al-Hikmah.

Al-Ghazali, Abu Hamid. (1974). *Fadaih al-Batiniyah*. Kuwait: Muassasah Dar al-Kutob al-Saqafiyah,

Al-Hulli, Ibnu al-Mutahhar. (1998). *Minhaj al-Karamah*. Iran: Muassasah 'Asyura.

Al-Humyari, Nesywan. (n.d.). *Risalah al-Haur al-'Ain*. Kaherah-Egypt: Maktabah al-Khanji.

Ali ibnu al-Walid. (1982). *Damig al-Batil wa Hatfu al-Munadil*. Beirut-Lebanon: Muassasah 'Izzuddin li al-Tiba'ah wa al-Nasyr.

Al-Jahidz, *Rasaail al-Jahidz*. (2000). Kaherah-Egypt: Maktabah al-Khanji.

Al-Jalayand, Muhammad al-Sayyid. (1995). *Ibnu Taimiyah wa al-Ta'wil*. Kaherah-Egypt: Dar Quba.

Al-Kulayni, Muhammad Ya'qub. (1418). *Usul al-Kafi*. Iran: Dar al-Uswat li al-Tiba'ah wa al-Nasyr.

Al-Murtaza, Ahmad bin Yahya. (2001). *Muqaddimah al-Bahr al-Zakhar*. Beirut-Lebanon: Dar al-Kotub al-Ilmiyah.

Al-Muzaffar, Muhammad. (2003) Riza. *Akaaid al-Imamiyah*. Qum-Iran. Al-Najaah.

Al-Muzaffar, Muhammad Riza. (2000). *Al-Syiah wa al-Imamah*. Taheran-Iran: Maktabah Niyni al-Hadisah.

Al-Qasim al-Rasi. (2000). *Al-Rad ala al-Rafidah*. Kaherah-Egypt: Dar al-Afaq al-'Arabiyah.

Al-Qosim, Muhammad. (2003). *Al-Jawab al-Mukthar an Masail Abdul Jabbar*. Yemen: Muassasah al-Imam Zeid bin Ali al-Thaqafiyah.

Al-Rassas, Ahmad bin al-Hasan. (2002). *Al-Khulasah al-Nafi'ah*. Kaherah-Egypt: Dar al-Afaq al-'Arabiyah.

Al-Razi. (1995). *Mukhtar al-Sihah*. Beirut-Lebanon: Maktabah Lebanon.

Al-Sahib, Ibnu al-Ibad. (1986). *Al-Zaidiyah*. Beirut-Lebanon: al-Dar al-Arabiyah li al-Mausu'at.

Al-Syarqawi, Hasan Muhammad. (1992). *Al-Hukumah al-Batiniyah*. Beirut-Lebanon: al-Muassasah al-Jami'iyyah li al-Dirasat.

Badawi, Abdul Rahman. (1996). *Mazahib al-Islamiyyin*. Beirut-Lebanon: Dar al-Ilmi li al-Malayin.

Bahrul Ulum. (1978). *Al-Taqlid fi al-Syari'ah*. Cairo-Egypt: Dar al-Zahrah.

Hilmi, Mustafa. (1983). *Al-Salafiyah Bayna al-Akidah al-Islamiyah wa al-Falsafah al-Gharbiyah*. Alexandria-Egypt: Dar al-Dakwah.

Ibnu al-Imad al-Hambali. (n.d.). *Shajarat az-Zahab*. Beirut-Lebanon: Dar al-Kotob Ilmiah.

Ibnu al-Jauzi. (1985). *Talbis Iblis*. Beirut-Lebanon: Dar al-Kitab al-Arabi.

Ibnu Manzur. (1998). *Lisan al-Arab*. Beirut-Lebanon: Dar Sadir.

Idris Imaduddin. (1991). *Kitab Zahru al-Ma'ani*. Beirut-Lebanon: Al-Muassasah al-Jami'iyyah.

Ja'far bin Mansur al-Yaman. (1984). *Kitab al-Kasyf*. Beirut-Lebanon: Dar al-Andalus.

Maghniyah, Muhammad. (1403H). *Al-Itsna'Asyariyah wa Ahli al-Bayt*. Beirut-Lebanon: Dar al-Tayar al-Jadid.

Marjuni, Kamaluddin Nurdin. (2009). *Mauqif al-Zaidiyah wa Ahli Sunnah min al-Akidah al-Isma'iliyah wa Falsafatuha*. Beirut-Lebanon: Dar al-Kotob Ilmiah.

Marjuni, Kamaluddin Nurdin. (2011). *Nash'at al-Firaq wa Tararruquha*. Beirut-Lebanon: Dar al-Kotob Ilmiah,

Muhammad Kamil Husein. (1959). *Taifah al-Isma'iliyah*. Kaherah-Egypt: Maktabah al-Nahdah al-Misriyah,

Yahya bin al-Husein. *Kitab al-Ahkam fi al-Halal wa al-Haram*. Sa'dah-Yemen: Mansyurat Maktabah al-Turas al-Islamiy.